من اشتهر بفضلٍ او مزيَّة واعترف لهُ سواد الناس ولا سيما اهل العلم بالتقدم فانكم ان فعلتم جعلتم انفسكم غرضاً لكل من تشيَّع لهُ فاكثرتم اعداءكم ومناصبيكم في حين انتم على حدثان امركم احوج الناس الى الاستكثار من الصحابة والاصدقآء والمشايعين في احوال الدنيا والدافعين الى التقدم في مراتب الشهرة والفضل . ولا تحسبُنَّ الناس سوآءً في معرفة الصواب فان ذوي العلم فيهم نفرٌ معدود والمنصفون من اولئك قليل وفيهم من لا يهمهُ ان يعرف موضع الحق فلا يتفرَّغ للبحث في دعواكم وانما يحكم بمجرَّد ما تقرر في علمه او سبق الى وهمهِ من افضلية الاشهر فلا تحصلون منها على طائل . واذا كان ذلك حال العلمآء وهو الواقع في كثيرٍ من الامر فما الظن بغيرهم ممن لا اداة لهُ للحكم ولا موقع عندهُ للفصل

(ستأتي البقية)

ديوان ابن مامية الرومي

(بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود)

(ملحق ثانٍ)

في تواريخهِ الشعرية

اشرنا سابقاً الى تواريخ هذا الشاعر عند كلامنا على ديوانهِ ووعدنا ان نرصد للبحث فيها فصلاً خاصاً ووفآءً بذلك الوعد نقول

لابن مامية في الاوراق الباقية من ديوانهِ بيدنا تواريخ شعريَّة كثيرة بديعة السبك تدل على تفنُّنهِ في الشعر وسلامة ذوقهِ في النظم وتبريزهِ في

فن التاريخ كما اشرنا الى ذلك في ترجمتهِ ووصف شعرهِ . وقد كان بودنا ان نثبت كل ما بيدنا من تواريخهِ لولا ضيق المقام فاقتصرنا على ذكر بعضها عدا ما ذكرناهُ استطراداً في مقالتنا الماضية . وقد قاسينا نصباً شديداً في معرفة السبب الداعي الى نظم كل تأريخ منها وتحقيق اسمآء الاشخاص المقولة فيهم واخبارهم لان اكثرها ورد في الديوان غفلاً من العنوان فتوصلت الى معرفة ذلك اولاً من القرينة وسياق النظم ثم من معارضة اسمآء الاعلام والحوادث الواردة فيها باشباهها مما ورد في الكتب التاريخية عن ذلك القرن . وقد تمكنت بذلك من ان اورد تراجم بعض الاعلام المذكورين في النظم . ولعل ما قاسيتهُ في سبيل ذلك من مشقة البحث والتنقيب يشفع لدى القرآء الافاضل فيما لعلي لم أُصب فيهِ المرمى

ولا بد لي قبل ايراد هذه التواريخ من وصفها وصفاً اجمالياً فان من اعمل فيها النظر بدقة وحسن رويَّة يراها سلسة خالية من كل لغو وتعقيد وتكلف ومحتوية اما على آيةٍ قرآنية واما على نكتة مستملحة تطابق المعنى الذي نظمت لاجلهِ وهي مع كل ذلك في عجز البيت او في بعضهِ . وهذه لعمر الحق هي شروط الحسن في التاريخ التي قلَّما اجتمعت لشاعر

هذا فضلاً عن ان لنا من تواريخهِ فائدة مهمَّة فيما يتعلَّق بحساب كلمات التاريخ بالنظر الى قدم عهدهِ وسبقهِ كل من تكلم عن حساب التاريخ الشعري من المؤلفين . فانهُ معلوم ان علمآء الادب في هذه المسئلة على رأيين . فاصحاب الرأي الاول يحسبون الفاظ التأريخ بحسب رسمها وكتابتها أي انهم يعدون الالف المكتوبة بصورة اليآء عشرةً تبعاً لرسمها

والهمزة بحسب كرسيّها والوصلة ألِفاً وهلم جرًّا وهذا هو الرأي المتّفق عليهِ من جمهور الشعرآء والمؤلفين[1]. وأما الرأي الثاني فهو رأي العلامة الشهير الشيخ عبد الغني النابلسي الذي هو اول من نظم التاريخ الشعري في سلك الفنون البديعيّـة . وهو يرتآي ان الفاظ التأريخ يجب ان تحسب بحسب لفظها لا بحسب كتابتها وإليك قولهُ في هذا الشأن نقلاً عن شرح بديعيّتهِ (ص ٤٩٥)

« وهل تُحسب الحروف المرسومة او الحروف المنطوق بها لم أَرَ من تكلّم على ذلك من اصلهِ وينبغي حساب الحروف المنطوق بها لا المرسومة كلفظ فتى ويخشى مما يكتب بالياء ويقرأ بالالف لان كلمات التاريخ انما جُعلت لتُقرأ وتحسب باعتبار ان حروف هـذا اللفظ دالّة بالحساب على السنة المقصودة ولا دخل للكتابة في الحرف المحسوب والاّ لتوقّف حساب التأريخ على كتابتهِ كما لا يبعد على صاحب الذوق السليم مع اني استعملت كلا الامرين في بعض تواريخ اقتضت ذلك » . انتهى

بقي ان نعرف اي الرأيـين المذكورين اقدم في الاستعمال واحرى بالاتباع وهذا ما قصدنا البحث فيـهِ هنا . ويمكننا معرفة ذلك جليّاً من تواريخ ابن مامية التي نحن بصددها فان ناظمها كان في القرن العاشر

(١) راجع كتاب اللامعـة في شرح الجامعة للعلامة المرحوم الشيخ حبيب اليازجي ص ١٢٧ ودائرة المعارف للعلامة البستاني رحمهُ الله المجلد السادس في كلمة « تأريخ » وكلمة « جمل » ومقالة الاستاذ الفاضل عيسى افندي المعلوف في الضيآء (٥ : ٤٣٦) وغير ذلك

للهجرة [١] أي قبل الشيخ عبد الغني النابلسي بمئة سنة ونيّف [٢] . ومن مقابلة تواريخهِ بحساب الجمَّل نرى انهُ أي ابن ماميـة يحسب الكلمات بحسب رسمها فقط جرياً على الطريقة المستعملة في زمانهِ . وبناءً عليهِ يكون الرأي الاول أولى بالاتباع لانهُ اقدم في الاستعمال فضلاً عن اجماع الادباء عليهِ قديماً وحديثاً . ويكون الرأي الثاني رأياً شخصياً لا يجري عليهِ الا من ساقتهُ اليهِ الضرورة

ولنذكر الآن بعض تواريخ ابن مامية مرتبة بحسب سنيها

قال مهنئاً بمولود ومؤرخاً سنة ٩٥١

لقد وافاك مولودٌ جليلٌ يفوق الخَلق بالخُلق العظيمِ
وقال الدهر لما أرَّخوهُ لك البشرى بمولودٍ كريمِ

وقال مؤرخاً مولد محمد الفرفور الدمشقي ومهنئاً والدهُ سنة ٩٥٣

هنئت يا مولاي بالولد الذي هو في عناية حافظٍ وقديرِ
قالت دمشق الشام في تأريخهِ يا مرحباً بمحمَّد الفرفورِ

وقال مؤرخاً قدوم المولى حامد [٣] الى مدينة دمشق لتولي القضاء بها سنة ٩٦٠

(١) راجع مجلة الضيآء (٦ : ٢٧٠ و ٣٣٨)

(٢) وُلد الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة وتوفي بها سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م) وترجمتهُ وتآليفهُ اشهر من ان تذكر

(٣) هو المولى حامد احد اعيان علمآء الروم وفضلآئها . وُلد في مدينة قونية وكان والدهُ من ارباب الزوايا فلما نشأ وشبَّ سلك مسلك الطلب ودخل

قد قدمتم لدمشق بسرورٍ متزايدْ
ولهذا أرَّختـهُ جآءني بالخير حامدْ

وقال مؤرخاً مولوداً اسمهُ محمَّد سنة ٩٧٠

طالع الاقبال ابدى ولداً بالذكر يُحمَدْ
قلت لما ارخوهُ هلّ بالخير محمَّدْ

وقال مؤرخاً وفاة السلطان سليمان سنة ٩٧٤ (من قصيدة)

في صفر الخير نوى رحلةً لكنهُ لجنّة الخلد آبْ
يا رب فارحمهُ بتأريخهِ وجازهِ أجراً بدار الثوابْ

وقال يهجو بخيلاً حجّ سنة ٩٧٧

حجّ للبيت خسيسٌ كابح اللحية كالحْ
قلتُ لما أرَّخوهُ ليس هذا الحجّ صالحْ

وقال مؤرخاً يوم نيروز سنة ٩٧٨

جآء نيروز الهنا وبدا سعد الأمَلْ
واتى تأريخـهُ حلَّت الشمس الحَمَلْ

وقال مؤرخاً وفاة علي چلبي الدفتردار سنة ٩٨١

مدخل العلم والادب وقرأ على علمآء زمانهِ وتقلد وظيفة التعليم والافتآء في عدة مدارس ثم نقل الى مدينة دمشق الشام وتولى بها القضآء . و بعد سنة عين لقضآء مصر ثم تقلد وظائف اخرى بضع سنوات الى ان أُلقيت اليهِ رئاسة الفتاوى في القسطنطينية ودام كذلك الى ان توفي سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) (راجع ترجمتـهُ في كتاب العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم المطبوع بهامش الجزء الثاني من وفيات الاعيان (ص ٣٦٨ و ٣٦٩)

ان عليّ الشان في دنياهُ قد عاش رحيب الصدر بالبال الخلي
وبعد موتٍ ان تسل تأريخهُ أُحلّ في قصرٍ بفردوسٍ علي

وقال مؤرخاً رجوع درويش باشا[1] من سفر الروم سنة ٩٨٢ (من ابيات)

بقدومك الاقبال والبشرُ وببابك الآمال والجبرُ
وبسعدك الافلاك دائرةٌ ومعينك الاملاك والدهرُ
وبعدلك الاحكام سائدةٌ وإليك يُعزى النهي والامرُ
قد عدت بالاقبال مصطحباً فالحمد للمنّان والشكرُ
وبك الهنا نادى مؤرخهُ أبداً قرين ركابك النصرُ

الى غير ذلك من التواريخ التي يضيق عن استيفآئها المقام وفي ما تقدم منها كفاية لذوي الافهام والسلام ختام

جواب اللائم

هو عنوان بندٍ بعث الينا بهِ حضرة صديقنا الفاضل الالمعي قسطاكي بك الحمصي في حلب تلقاهُ عن نسخةٍ بخط احد ادبآء الموصل وهو لابن خلفا البغدادي جرى فيهِ على طريقة ابن معتوق في بنودهِ التي اثبتنا احدها في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (صفحة ٦٧) فرأينا ان نطرف بهِ قرآء الضيآء لندرة هذا النوع من مصوغات الكلام على ما اشرنا اليهِ هناك

(١) هو احد ولاة سوريا العظام تولى الاحكام سنة ٩٧٩ هـ وبقي ٣ سنوات و٧ اشهر . ومن آثارهِ في دمشق جامع معروف باسمهِ بناهُ سنة ٩٨٢ في حارة الدرويشية التي تنسب اليهِ ايضاً